

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله :

«كذب عليكم الحج، كذب عليكم العمرة، كذب عليكم الجهاد. ثلاثة أسفار كذبن عليكم» أي وجب عليكم، وجب عليكم. ومنه قوله: «كذبتك الظهائر، أي عليك بالمشي في حرّ الهواجر». ومنه الحديث الشريف «فمن احتجم فيوم الخميس والأحد كذباك... إلخ»، أي عليك بهما⁽⁷⁾.

هذا معنى من معاني (كذب) فيه تحديد وحصر، يقابل ما قاله الفارسي عن الدلالة المطلقة والإشارة الحرة. ومن باب إمعان الزمخشري في مداخلة هذه الكلمة وملاحقتها، ليس لحل مشكلتها ولكن لإظهار هذه المشكلة وإبرازها، فإنه يلجأ إلى ملاحظة سياق الكلام، ولذا يحاول طرح تصوّر جريء ينافس التأويلات السابقة فيقول واصفاً قوله بأنه هو ال قول:

«عندي قول هو القول، وهو أنها كلمة جرت مجرى المثل في كلامهم... والمراد بالكذب الترغيب والبعث، من قول العرب: كذبتة نفسه إذا منته الأمانى وخيلت إليه من الآمال ما لا يكاد يكون. وذلك ما يرغب الرجل في الأمور، ويبعثه على التعرّض لها. ويقولون في عكس ذلك: صدقته نفسه، إذا ثبطته وخيلت إليه المعجزة والنكد في الطلب. ومن ثم قالوا للنفس الكذوب»⁽⁸⁾.

والزمخشري هنا يقدم لنا كلمة ذات قيمة دلالية وفنية وأخلاقية عالية جداً، على حين تكون كلمة (صدق) أقل دلالة وأضعف. ذلك لأن كلمة (كذب) ذات طاقة مرتفعة لأنها تحمل القدرة على